

الفصل الأول

الأحوال السياسية والمذهبية والاجتماعية في السند والهند قبل الإسلام وعلاقتها بالدول المجاورة

* حالة بلاد السند والبنجاب سياسيا ومذهبيا واجتماعيا.

* الديانات القديمة في بلاد الهند والسند

* العقيدة الجينية

* العقيدة البوذية

* البرهمية

* علاقات بلاد السند والبنجاب مع إيران قديما.

الأقوام والقبائل بلاد السند والبنجاب فى العصور القديمة

قبل الإسلام ثم من صدر الإسلام إلى العصر العباسى

أولاً: أهم القوام القديمة ببلاد السند قبل الإسلام:

سكنت بلاد السند أقوام عديدة قبل الإسلام بزمن بعيد، ويرجع تاريخ بعضها إلى ما قبل خمسة آلاف سنة، أهمها القوم الداوردى والقوم الآرى.

(أ) القوم الداوردى:

يعتبر القوم الداواروردى أول قوم من بين الأقوام القديمة التى أتت إلى بلاد السند من الخارج، وسكنتها قبل قدوم الآريين إليها، والقوم الداوردى هم أصحاب الحضارة العظيمة التى كانت فى منطقة موهنجود أرو الأثرية ببلاد السند ومنطقة هربا الأثرية وكان زمنهم ببلاد السند ما بين سنة ٣٢٥٠ وسنة ٣٨٠٥ قبل الميلاد.

وتدل الآثار القديمة على أن سكان وادى نهر السند قد ظلوا فترة من الزمن تحت سيطرة قوم البربر الذين أتوا إلى بلاد السند قبل الفرس عند زحفهم نحو الشرق عن طريق بلوجستا، ونتيجة للحملة التى قام بها هؤلاء البربر على بلاد السند من جهة الشمال والغرب، قد أجبر بعض القبائل السندية القديمة المتفرعة من القوم الداواروردى أن تترك مواطنها الأصلية لتسكن أماكن أخرى فى الشمال والغرب ببلاد السند، كما اضطر بعض القبائل الأخرى إلى أن تندمج بعضها ببعض بسبب عوامل كثيرة.

(ب) القوم الآرى (الفارسى):

يعتبر القوم الآرى هو القوم الثانى الكبير الذى أتى إلى بلاد السند من الخارج، وقد تحركوا فى قوافل عديدة على شكل هجرات كبيرة من وسط آسيا وزحفوا نحو الشرق والغرب حتى وصلوا إلى بلاد السند، وأن القافلة الأولى

وصلت بلاد السند فى سنة ٣٥٠٠ قبل الميلاد، والقافلة الخيرة فى سنة ٦٠٠ قبل الميلاد، وقد قضى الآريون بعد قدومهم على نفوذ الدراوردين الذين كانت لهم حضارة موهنجود أرو العظيمة، وثبتوا أقدامهم فى البلاد وحكموها، فى حين تشتت أمر القوم الداورى وساءت حالة قبائله المختلفة، وكانت للآريين حضارة بسيطة فى بداية المر ثم ارتقت بمرور الزمن، ولكنها لم تصل إلى درجة حضارة موهنجود أرو وهربا التى كانت للدراوردين السكان الأصليين لبلاد السند القديمة.

ثانياً: اهم الأقوام ببلاد السند بعد الإسلام:

بعد الإسلام أتت أقوام أخرى إلى بلاد السند، وسكنتها واندمجت بالأقوام القديمة وكان لهذه الأقوام الجديدة أثر كبير على اهل بلاد السند من نواح مختلفة.

(أ) العرب سكنوا إقليم مكران:

العرب هم القوم الثالث الكبير الذى أتى إلى بلاد السند من الخارج، فى أواخر القرن الأول الهجرى (السابع الميلادى) وفتحوها وحكموها أكثر من قرون من الزمان، والعرب من النسل السامى، وقد تركوا آثارهم العظيمة فى كل بقعة من بقاع بلاد السند فى النواحى المختلفة، السياسية والدينية والثقافية والاجتماعية والعمرائية وأعادوا إلى بلاد السند مجدها فى صورة حضارة أعظم من حضارتهم السابقة.

على أن البعض يرى بأن القوافل العربية كانت تأتى إلى بلاد السند والهند منذ أكثر من ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد، وانها سكنت المناطق الساحلية واندمجت بمرور السنين بأهالى تلك المناطق، وإن القافلة الأولى من الحملة العربية البرية التى وصلت إلى حدود بلاد السند بعد ظهور الإسلام فإنها سكنت إقليم مكران، وأنها اقتربت من نهر السند ثم تراجعت إلى مكران وذلك فى سنة ٢٣هـ / ٦٤٣م ثم بعد فتح العرب لبلاد السند فى سنة ٩٢هـ / ٧١٠م سكنت قبائل عربية مختلفة فى المدن والمناطق الكبيرة بها، واندمج العرب مع أهلها مما كان لذلك أثر كبير فى انتشار الإسلام والثقافة الإسلامية فى هذه البلاد الواسعة.

(ب) أقوام أخرى:

بعد انتهاء العهد العربى ببلاد السند فى سنة ٤١٦هـ / ١٠٢٥م بدأت أقوام أخرى مختلفة تأتى إلى بلاد السند، وذلك منذ القرن الخامس الهجرى، وتسكن هذه البلاد وهى: الترك والتاجيك والمغول والتتر والفرس وغيرهم، وهذه الأقوام أيضا اندمجت فى الأقوام الموجودة من قبل فى بلاد السند ولعبوا أدوارهم على مسرح التاريخ السندى.

(ج) الأوروبيون:

وفى القرن الأخيرة جاء الأوروبيون وسكنوا مناطق مختلفة من شبه القارة الهندية مشغولين بالتجارة فى أول كالبرتغاليين والإنجليز ثم انتهى نشاطهم فى القرن الماضى باستعمار الإنجليز للقارة الهندية بما فيها بلاد السند، ولكن الأوروبيين لم يدمجوا بأهالى هذه البلاد كغيرهم من الأقوام.

ثالثا: أهم القبائل السندية القديمة:

من الأقوام التى سكنت بلاد السند على شكل قبائل كبيرة بأسماء مختلفة قبيلتان كبيرتان وهما الرط Jote والميد Meds وكانتا تسكنان مناطق مختلفة فى بلاد السند، وقد دخل معظم القبائل الرطية والميدية فى الإسلام فى عهد العرب.

ويؤخذ من البيانات الواردة فى الكتب السنسكريتية بأن قوم الرط كانوا يشتغلون على السفن الصغيرة بالتجارة والنقل، بينما قوم الميد كانوا يشتغلون بالرعى، ويظن البعض بأن أحد الكتاب قد أخطأ فى استعمال الاسمين بحيث وضع أحدهما موضع الآخر، بدليل أن نسل قوط الرط لا يرالون يعملون بالرعى، فى حين أن نسل قوم الميد يعملون بالسفن، ويشكون نواحى مكران ويستخدمون البحر فى الأسفار.

والحقيقة أن الجغرافيين والمؤرخين العرب أيضا اختلفوا بشأن القومين وقبائلهما بالنسبة للمناطق التى كانا يسكنانها، وكذلك بالنسبة لأعمالها وحرفهما

وصفاتها. يذكر الأصبخري بأن قوم الميد كانوا يسكنون أحصاها واجاما ويتغدون بالسمك وطير الماء، بينما قوم الرط كانوا سكنون على شطوط نهر السند من حد الملتان حتى البحر وكانت لهم مراعى كثيرة فى البرية بين نهر مهران وبين مدينة قامهل التى تقع على الحدود السندية الهندية.

ويذكر ابن خرداذبة بأن قوم الزط كانوا يحافظون على الطريق بين كرمان والمنصورة بينما كان قوم الميد لصوصا وقطاع طرق، ويقول ابن حوقل بأن جماعات من الزط كانت تقيم فى المنطقة الواسعة ما بين المنصورة ومكران على طول نهر السند فى الأكواخ المبنية من الخوض، وكان غذؤاهم السمك والطيور المائية، كما أن جماعات أخرى منهم كانت تسكن بعيدا عن النهر فى مناطق صحراوية ورعوية وكان طعامهم اللبن والجبنه والخبز، أى أنهم كانوا رعاة مواش وأغنام وكانت حياتهم كحياة البدو.

وقد ورد فى كتاب حجنامة - وهو يعتبر أقدم مرجع تاريخى لبلاد السند - بأن قوم الزط كانوا قطاع طرق وكانوا يهجمون على القوافل التجارية المارة بطرق السند المختلفة.

ويعلق البعض على ذلك بأن الميد والزط كانوا من الأقوام القديمة ببلاد السند، وكان الميد معروفين بالوحشية والنهب والسرقة ولذلك كانوا يتخذون قرب الصحارى مساكن لهم، وكذلك الزط حتى يسهل عليهم القيام بعمليات النهب والسرقة والإضطرابات والفتن بعيدا عن سلطة الحكومة.

وخلاصة القول: يرى المسعودى بأن قوم الميد كانوا يشتغلون فى البحر بالقرصنة وأما قوم الزط فكانوا يشتغلون بالرعى، ويرى الأصبخري وابن خرداذبة والإدريسى بأن الميد كانوا يسكنون فى المناطق الصحراوية، بالقرب من نهر السند، وكانوا يشتغلون بالرعى، فى حين يرى صاحب جحنامة وابن حوقل وصاحب نخبة الدهر بأن قوم الزط كانوا يقيمون على طول شاطئ النهر فى أماكن عديدة

وكانوا قطاع الطرق وحدد البلاذرى بأن أهم منطقة كان يسكنها قوم الميذ هي منطقة القيقان وكانت سلطتهم بها قوية .

رابعاً: أهم القبائل السندية فى عهد العرب:

لقد أشرنا بأن القومين الزط والميذ كانا قومين سنديين كبيرين معروفين ، وقد استمر وجودهما منذ مئات السنين إلى عهد العرب ، وقد امتازوا بتعصبهما القومى والوطنى ، وكان كلاهما يتنافسان على حكم البلاد ، وكان الزط أكثر عدداً وأقوى نفوذاً وأخطر على الأمن والدولة من الميذ ، ولذلك نرى محمد بن القاسم الثقفى فاتح بلاد السند (٩٢ - ٩٥هـ / ٧١٠ - ٧١٣) قد اهتم بدراسة حياة قبيلة الزط الكبيرة التى تنتسب أصلاً إلى قبيلة لوهانة Luhans الهندية ببلاد السند ، وقد علم أنهم قوم ليست بينهم الطبقات ، بل كلهم طبقة واحدة يعيشون عيشة وحشية كسكان الغابات ، وأن الجهل منتشر بينهم ، وهم قطاع الطرق الذين يهجمون على القوافل التجارية المارة بطرق السند فينبهون الأموال ويقتلون الأنفس بغير الحق ، كما أنهم يقومون دائماً بالإضطرابات والفتن ضد الحومة ، ولذلك عاملتهم معاملة شديدة مثل معاملة الملك جج ملك السند الأسبق لهم ، فقد علم محمد بن القاسم الثقفى من الوزير سياكر السندى وبعض زعماء السند بأن الملك جج كان قد وضع قيوداً فى تصرفات وتحركات هذه القبيلة وخاصة بمنطقة اللوهانة بإقليم برهمنا باد ، مثلما فعل قديماً مع قبيلتي سرانه وساكا القديمتين الطاغيتين ، فقد أمر الملك جج بأن يسحب كل فرد من الزط كلياً حتى يكون معروفاً بين الناس ، وأخذ منهم الضمانات على سلامة القوافل التجارية وسلامة المسافرين ، وفرض عليه عقوبة الموت أو الحرق لمن يسرق منهم ، فقد اضطر محمد بن القاسم الثقفى أيضاً إلى وضع نفس القيود عليهم حتى يضمن الأمن والاستقرار فى البلاد ، لكنه خفف عنهم تلك القيود بالتدريج ، بينما كان محمد بن القاسم الثقفى يعامل القبيلتين سما وسهيتة اللتين تسكنان أيضاً بنواحي برهمنا باد معاملة طيبة للغاية لسلوكهما الحسنة فى حياتهما الاجتماعية .

ويذكر البعض بأن فى الفترة ما بين عهد الدولة المارية القديمة وبين عهد العرب كان سكان بلاد السند متأثرين بثقافات وعادات وتقاليده مختلفة للأقوام السابقة التى حكمتهم أو سيطرت عليهم مثل الفرس والبربر وغيرهم، بل امتزجت الدماء المحلية بدماء تلك الأقوام الواردة من الخارج حتى ظهر ببلاد السند نتيجة لذلك الخلط قومان مشهور أن بقائلهما المتفرقة الكثيرة، وهما قوم الزط وقوم الرجوت، وحين جاء العرب إلى بلاد السند كان معظم القبائل السندية تنسب إلى هذين القومين المعروفين بالإضافة إلى وجود قوم الميد بقائله المتفرقة فى مناطق مختلفة ببلاد السند.

ومن الجدير بالذكر هنا أن التاريخ قد أثبت بأن العرب المسلمين كانوا يعاملون هذه الأقوام أو القبائل الكبيرة حتى التى لم تدخل الإسلام معاملة طيبة وعادلة ما دامت تطيع الحكومة، كما يعترف التاريخ أيضا بأن العرب الذين فتحوا بلاد السند وحكموها رغم قلة عددهم، وقد استطاعوا بفضل سياستهم الحكيمة وأخلاقهم الحميدة أن يؤثروا تأثيرا قويا من الناحية الاجتماعية والمذهبية فى تلك الأقوام أو القبائل المختلفة ذات تقاليد عجيبة وعادات سيئة وصفات وحشية.

خامسا: القبائل الأخرى المتفرعة فى عهد العرب:

ورد فى جغنامة فى عدة مواضع بأن قواد الجيش فى عهد الملك داهر السندى كانوا من البرهميين وكان عليهم اسم التهارة وهم كانوا أصلا ينتسبون إلى قبيلة الراجوت الهندية القديمة ويتصفون بالمهارة الحربية والشجاعة، وكان يطلق عليهم أيضا اسم سودها sodhas، وقدج انضم عدد كبير من هؤلاء القواد التهارة إلى محمد بن القاسم الثقفى أيام الفتوحات، وخدموا الجيش العربى فى أثناء حملاته الحربية، وكان لهم دور فعال فى انتصارات العرب.

وقد نزلت قبائل قبائل سندية مختلفة من شمال وشرق بلاد السند، وسكنت إقليم البنجاب وأشهرها قبيلة عرفت باسم "زط البنجاب" التى تفرعت

من قبيلة الزط الكبيرة ثم تفرعت هذه القبيلة فى البنجاب إلى قبائل كثيرة مثل وجوبو وكوهاوا.

وكانت ببلاد السند قبيلة أخرى باسم قبيلة سومرا وهى متفرعة من قبيلة سودها التى استمرت بالتمسك بمذهبها البرهمى الهندى ولم تدخل فروع منها فى الإسلام فى أواخر عهد العرب وفيما بعد، كما كانت هناك قبيلة تعرف باسم كوكهر التى تفرعت من قبيلة راتهور المتفرعة من قبيلة راجبوت الكبيرة، وقد دخل معظم أفرادها فى الإسلام واشتهروا باسم قبيلة سيراى فى بلاد السند، وأما قبيلة لوهانة البرهمية التى لم تدخل الإسلام فى عهد العرب فكانت تسكن بعض الأجزاء من إقليم كش (كجة) ومنطقة ماتياوار وبعض أجزاء من بلاد السند.

وقبيلة سهتا Shatas التى كانت تسكن بلاد السند، وخاصة فى إقليم برهمناباد فقد دخلت جماعات كبيرة منها فى الإسلام فى عهد العرب، وعاملهم محمد بن القاسم الثقفى وغيره من حكام العرب فى كل وقت معاملة طيبة، وكانت هناك قبيلة سمه sammah التى دخلت الإسلام فى عهد العرب وكانت تسكن المناطق الزراعية، بينما كانت قبيلة لوهانة غير المسلمة تسكن المدن وتشتغل بالأعمال التجارية، ولذلك كان بين القبلتين المسلمة وغير المسلمة فرق من الناحية الفكرية والبدنية، كما كانت فى إقليم البنجاب قبيلة تسمى الورة Alora لها صلة بقبيلة لوهانة ببلاد السند وقد أخذت إسمها من اسم المدينة المعروفة.

ومعظم سكان صحراء تهار Thar فى النصف الجنوبى منها ينتسبون إلى قبيلة سيودى الرجوبوتية. وقد دخلت جماعات منها فى الإسلام، وأما القبيلة الشهيرة ماهار Mahars التى كانت تسكن فى المناطق الشمالية الشرقية لصحراء السند، فقد دخل معظم أفرادها فى الإسلام فى عهد العرب، بينما قبيلة ماهار الراجبوتية التى كانت تسكن السند الشرقية والشمالية أيضا لم تدخل الإسلام فى عهد العرب.

حالة بلاد السند والبنجاب سياسيا ومذهبيا

واجتماعيا قبل الفتح الإسلامى

بالرغم من دخول بلاد السند فى الدور الأول للفتوحات، فإن المعلومات عن هذا الدور غير كافية، وإنما المرجع الوحيد الذين يمكن لنا الاعتماد عليه والذي يعطى لنا فكرة اجمالية عن الفترة هو كتاب ججنامه الذى جمع مواده وكتبه بالعربية مؤرخ عربى فى أواخر العصر الأموى، ثم قام عالم عربى آخر بترجمته إلى الفارسية فى سنة ٦١٣ هجرية، وقد أخذ منه المؤرخون القدماء مثل صاحب تاريخ المعصومى وصاحب تاريخ فرشنه وغيرهما، وكذلك اعتمد عليه كثير من المؤرخين الشرقيين والغربيين، ومعنى ذلك أنه لا يوجد أى كتاب فى تاريخ بلاد السند قبل ججنامه عن العصر الذى سبق صدر الإسلام، وعلى العموم نحاول الاستفادة من هذا المرجع بقدر الإمكان.

كانت الدولة الهرشية الهندية يؤيدها أصحاب المذهب البرهمى الهندى وهم البراهمة الذين أوجدوا نظام الطبقات، بحيث قسموا الشعب إلى أربع طبقات: الطبقة الأولى تسمى طبقة البراهمة أو الكهان والسدنة ورجال الدين، والطبقة الثالثة تسمى الأكشترية وهى الطبقة الحاكمة والمحاربة، والطبقة الثالثة تسمى طبقة الفيشية وهى طبقة التجار والصناع والزراع التى توفر وسائل العيش للبراهمة والحكم، ثم الطبقة الرابعة تسمى طبقة الشودرية ووظيفتها خدمة تلك الطبقات الثلاث فى أحقر الأعمال كنظافة البيوت ورفع القاذورات، على أن أفاد الطبقات الثلاث الكبرى من أصل أرى، وقد أتوا إلى بلاد السند قبل الميلاد بزمان بعيد وحكموها، بينما أفراد طبقة الشودرية أصحاب البلاد الأصليين قد أخرجهم البراهمة منى ميدان السياسة والحكم والتعليم بل أذلّوهم واعتبروهم طبقة المنبوذين وحرموهم من كل حقوقهم الطبيعية الشرعية، فهم ليسوا حتى فى منزلة العبيد وقد أخرجوهم من دائرة الإنسانية حسب نظام الطبقات هذا.

ونتيجة لمظالم نظام الطبقات وأصحابه البراهمة، ظهر ببلاد الهند مصلح اجتماعى وهو بوذا بمذهبه الاجتماعى الجديد، وبدأ يحارب مظالم البراهمة: بآرائه الثائرة، يريد الخلاص للطبقة الشودرية المظلومة من تلك العبودية والذلة، ويريد الوصول بهم إلى حياة العزة، والسعادة، وسرعان ما انتشرت مبادئ هذا المذهب بعد عهد هرشا حتى أيده بعض البرهمى القديم والمذهب البوذى الجديد، واستطاع البراهمة أن يطردوا الكثيرين من البوذيين والشودرية من وسط بلاد الهند، فانتشروا فى الجنوب والغرب وخاصة فى بلاد السند.

ورغم وجود الاختلاف الكبير بين البوذيين والشودرية من الناحية الفكرية والاجتماعية، فقد نشأ بين الفرقين نوع من الاتحاد السياسى، وأصبحت لهم قوة أيضا فى بلاد السند ضد البرهميين حتى جاء عهد الملك جج (سنة ١ - ٤٠ هـ ٦٢٢ - ٦٤٠ م) الذى كان ابنا لسادن البراهمة مرة أخرى فى بلاد السند، واشتد الصراع المذهبى فى أنحاء البلاد، مما أثر ذلك كثيرا على تدهور الحالات الاجتماعية والفكرية والمذهبية والاقتصادية، لدرجة أن معظم الشعب السندى كانوا يتمنون أن تتاح لهم فرصة ليتخلصوا من هذه الفوضى المذهبية والمظالم الطبقيّة واستبداد الحكام، ولينجوا بأرواحهم من أنواع وسائل التقتيل والتشريد والتعذيب من جانب البراهمة، وأن يشعروا بالطمأنينة والسلم فى ظل العدالة الاجتماعية حتى ينعموا بالرفاهية الاقتصادية ويتمتعوا بالحركة الفكرية والمذهبية.

هكذا كانت بلاد السند تعيش فى هذه الفترة من التاريخ فى حالة سيئة من الناحية الاجتماعية والمذهبية بصفة خاصة، ومن الناحية الاقتصادية والفكرية والسياسية بصفة عامة، ونتحدث الآن عن الحالة السياسية لبلاد السند ابتداء من عهد الملك سهرس الثانى بن ساهسى الأول إلى عهد العرب.

عهد دوائج وعهد سيهرس الأول:

حكمت بلاد السند أسرة حاكمة قبل الإسلام لمدة ١٣٧ سنة وذلك سنة ٤٨٥ - ٦٢٢ م أى حتى السنة الأولى الهجرية، وأسماء ملوكها بالترتيب: دوائج ثم

سيهرس الأول ثم ساهسى الأول ثم سيهرس الثانى ، ثم ساهسى الثانى وفى عهدها انتقل البوذيون على شكل هجرات كبيرة إلى بلاد السند بعد طردهم من بلاد الهند ، ولذلك يمكن التخمين بأن حكام الدولة كانوا بوذيين غير متعصبين .

عهد الملك سيهرس الثانى:

إن أول ضوء يلقيه التاريخ على بلاد السند يبدأ فى عهد الملك سيهرس الثانى بل ساهسى الأول، الذى كان يجلس على عرش بلاد السند فى القرن السادس الميلادى وكانت بلاده تنقسم إلى خمس ولايات هى : برهمنا بادوسيستان واسكلنده والملتان والور، وكانت الور عاصمة البلاد كلها يقيم بها الملك وأما بقية الولايات فكان يحكمها أمراء من أقرباء الملك وقد حكم هذا الملك بلاد السند فترة من الزمن حكما عادلا ونشر الأمن الاستقرار .

عهد ساهسى الثانى:

ولما وصل خبر موت الملك السندى إلى العاصمة قام رجال الدولة بتتويج ولى العد ساهسى الثانى بن سيهرس وأجلسوه على عرش أبيه ، وحكم البلاد بالعدل والانصاف سنوات طويلة ، وفى عهده حضر شاب برهمى فقير إلى القصر وقابل الحاجب رام والوزير برهمين وقال لهما: أن اسمى جج بن سيلاند السادن وأبى وأخى يعملان فى معبد الور، وقد بادرت أن اتشرف بمقابلة الحاجب الذى اشتهر بالفصاحة والبلاغة ، وأرجو منه أن يتكرم بإعطاء عمل لى فى الديوان فأقوم بانجازه بكل أمانة وإخلاص ، حيث أنتى أحفظ كتب الهند الربعة (رك - جج - أسام - أثرين) وفى هذه الثناء وردت رسائل من مدينة الديبل فأعطى الحاجب خطابا إلى جج فقرأه جيدا وكتب الرد بأسلوب جميل وألفاظ رقيقة وخط حسن ، فأعجب به الحاجب وعينه كاتباً فى الديوان ، ولما توفى الحاجب تعين جج رئيساً للديوان واستطاع أن يضبط أمور القصر والدولة بسياسة وحكمة .

عهد جج بن سيلائج:

وهكذا وصل جج البرهمي إلى العرش والحكم بمساعدة الملكة الأرملة. وبعد أن نظم الملك جج أمور مملكته الداخلية، أراد الاستفادة من الاضطرابات السائدة في مملكة فارس الجارة، فسار إلى مكران واستولى عليها بعد أن كانت دولة إيران تسيطر عليها.

ثم توفي الملك جج في مدينة الور عاصمة البلاد بعد أن دام حكمه أربعين عاما.

عهد جندربين سيلائج:

بعد وفاة الملك جج جلس على العرش أخوه جندر في سنة ٤٠ هجرية ٦٦٠م وحكم بلاد السند لمدة سبع سنوات وقضى على بقية الفتن، ونشر الاستقرار في البلاد حتى توفي في العام الثامن من حكمه وذلك في سنة ٤٨ هجرية ٦٦٨م.

عهد الملك داهر بن جج:

بعد وفاة جندر ساد الاضطراب أنحاء المملكة السندية وانقسمت البلاد إلى قسمين، وجلس داهر بن جج على العرش بمدينة الور بداخل السند، بينما اعتلى عرش إقليم برهمناباد الأمير دارج بن جندر ابن عم داهر لمدة سنة واحدة (٤٨ - ٤٩هـ، ٦٦٨ - ٦٦٩م) وبذلك تقاسم الأخوان حكم المملكة لمدة ثلاثين سنة وكانا يتبادلان نقل مقر الحكم، فتارة كانت العاصمة مدينة الور وتارة تكون العاصمة مدينة برهمناباد، ثم وقع الخلاف بين دهر سبيه وبين سبب اتخاذ القرار من جانب داهر بالزواج من أجله الأمير مانى (مايين) وكل ذلك القرار نتيجة لرأى أحد الملحمين حين أخبر الملك داهر بأن حقه لأميته مايين سيكون من نصيب شخص يصبح ملكا على كل بلاد السند فانشغل فكر داهر بهذا الخبر الخطير واستشار وريثه الذى نصحه بالزواج منها حتى لا يفلت زمام الحكم من يده، وبذلك قرر الزواج مضطرا لأسباب سياسية، وقد استنكر هذا الخبر شقيقه الكبير دهرسيه الذى كان

ملكا على إقليم برهمناباد، فنصحه بالعدول عن هذه الفكرة لكنه لم يقبل ذلك، فتوجه الأمير دهرسيه بجيشه نحو العاصمة الور لمحاربة الملك داهر ولكنه فشل فى القضاء عليه، وكان قد عسكر بالقرب من قصور الور وقلعها. ومرض فجأة متأثرا بقتله وحرمه ومات فى دل المعسكر، وبعد ذلك رواج الملك داهر من أخته مايين.

وبذلك استقل الملك داهر بحكم البلاد ابتداء من سنة ٧٩ هجرية ٦٩٨م، ووجد الملكة وحكمها لمدة ثمان سنوات أخرى، حتى فوجئ بهجوم حاكم ولاية الباتية عليه وكان يلقب بنائب الملك ويسمى الأمير رمل (رغل) ويبدو أنه كان من أقرباء الملك داهر وحصل خلاف بينهما، واقترب حاكم الباتية من العاصمة فى سنة ٨٧ هـ ٧٠٥م، واستطاع داهر أن يقهره بسهولة بع أن ظن أنه كاد يفقد الحكم، وذلك لمساعدة محمد العلاقى العربى ورفاقه العرب.

وبعد ذلك حكم الملك داهر بلاد السند بضع سنوات أخرى حتى وقع النزاع بينه وبين العرب فى إثر حادثة بضع سنوات أخرى حتى قراصنة السند على السفن العربية التجارية المارة بموانئ السند، وعدم هنام الملك بذلك بالإضافة إلى حمايته للمتمردين العرب وتشجيعه لهم بمحاربة ولاية العرب بإقليم مكران، وعلى ذلك قرر العرب فتح بلاد السند فى سنة ٩١ هجرية ٧٠٩م.

الديانات القديمة ودخول الإسلام فى بلاد السند والبنجاب فى عهد العرب

الديانات القديمة ببلاد السند والبنجاب:

أهم الأديان القديمة التى كانت موجودة ببلاد السند عند الفتح العربى، هى البرهمية والبوذية والجينية، كما كان فيها اليهودية والمسيحية إتباع قليلون من قبل الإسلام، وكان المذهب البرهمى يعتبر أقدم هذه الديانات وأوسعها انتشارا وأكثرها نفوذا فى بلاد السند والبنجاب، ثم جاء من بعده المذهب الجيى وظهر معه المذهب البوذى قبل الميلاد بنحو خمسمائة سنة، وهما معاصران، وقد ظهرا بضد تعاليم المذهب البرهمى، على أتباعه حتى أتى عهد كانت له أهمية ومقبولية أكثر مما للمذهب البرهمى القديم، ثم جاء الإسلام إلى بلاد السند والبنجاب فى نهاية القرن الأول الهجرى (القرن الثامن الميلادى) مع الفتوحات العربية الإسلامية واحد فى الانتشار يوما بعد يوم فى هذه البلاد.

ليس للدين البرهمى مؤسس حتى يعتبره مرشدا معينا لأتباعه من أهل الهند، كما لا يوجد شخص معين ذو مركز روحى عظيم فى ذلك النظام المذهبى عند البراهمة حتى نسب إليه الكتب المقدسة لهؤلاء البراهمة فى الأزمان القديمة، وإن ظهر بعض شخصيات كبيرة فيما بعد وبسبب كثرة عددهم لا نجد فى الدين البرهمى، التوحيد فى العقيدة، لا للمذهب ولا القانون ولا العادات، ولكثرة الاختلافات فى طرق العبادة وكثرة عدد المعبود من الأصنام، وهذا الدين يبدو كالغابة التى تتخللها آلاف الطرق، ولكن لا يوجد بينهما طريق واحد يكون سهلا واضحا مستقيما ليرضى به جميع أتباع هذا الدين، ومع ذلك فهناك عقيدة برهمية تشترك فيها الفرق البرهمية المختلفة بصفة عامة، وهى فكرة التناسخ والحلول التى لها علاقة كبيرة بالفلسفة.

وقد عرفت بلاد السند والبنجاب قبل البرهمية كثيرا من معتقدات الآريين الذين كانوا قد وفدوا إليها قبل الميلاد بأكثر من خمسة عشر قرنا، فاعتنت الناجا الطوطية وعبدت إلهها الأفعوان كما عبدت هانون الإله القرد وعبدت ناقوس الإله الثور، وقدست الشجار والموتى من الأسلاف اعتقادا من بخلود أرواحهم وقدمت لهم القرابين، استخدمت الرقى والتعاويذ والسحر لجلب السعادة وغطالة العمر ودفع الأرواح الشريرة وإيقاع الارتباك بالأعداء، وما زال اليوم قلة منعزلة الويدا وهى أقدم أساطير الهند والسند تفصيل لآلهة الآريين والهنود الكثيرة هذه ومن ينسب إليه البعض تسمية الهند، وهو إله السماء والعواصف الذى يجلب الأمطار أو الماء والذى هو أصل الحياة، وشوريا إله الشمس، ولكن اختلف الرأى فيمن ينسب إليه خلق العالم من بين هذه الآلهة، فقد أجمعوا على كل حال على وجوب رد الأمر إلى خالق واحد وذلك فيما بعد متأثرين بمسألة التوحيد فى الإسلام.

وصار للبراهمة (أصحاب الدين البرهمى) بعد العصر الويدى السلطان والقوة فثبتوا نظام الطبقات الذى كانوا قد أقاموه من قبل، ووضع قديسهم الأكبر "منو" شرائعه وفقه الذى غدا بلاد الهند والسند وقانونها الأساسى فى كافة نواحي الحياة بها وظهر فى ذلك العصر قبل الميلاد بقرون أربعة، ملاحم المهابهارتا والراماتيا فالأولى تشتمل اليوم على قرابة ربع مليون بيت من الشعر فى حين تضم الثانية بين دفتيها ثمانية وأربعين ألف بيت، أى أضعاف أضعاف اليادة هوميروس، وبذلك كانت أضخم آثار العالم الأدبية القديمة على الإطلاق، ولا شك فى أنها قد تعرضت إلى إضافات كثيرة على مر القرون حتى بلغت صورتها الخيرة، وللمهابهارتا على الخصوص قداسة عظمى عند البراهيمة كقداسة الإنجيل عند أتباع المسيح حتى ليعدون قراءة ما تيسر منها مجلبة للرحمة والمغفرة ومن أعظم وأقدم كتبهم المذهبية التى تقوم عليها طقوسهم ويستمدون منها عقائدهم أربعة كتب يرجع تاريخ أقدمها إلى ٤٥٠٠ سنة قبل الميلاد والآخر منها إلى حوالى ١٢٠٠ سنة قبل

الميلاد، وهى هذه الكتب بالترتيب أهمها كتاب (ركفيدا) يشتمل على مجموعات من الناشيد التى كانوا ينشدونها فى تقديم القرابين للآلهة وكتاب (سام فيدا) أيضا يشتمل على الأناشيد المذهبية وكتاب (ويكرفيدا) يشتمل على الصلوات والأدعية شعرا ونثرا ثم كتاب (أشهر فيدا) يصف عقائد الجمهور فى الأرواح الشريرة والرقى والسحر وهو آخر مجموعة من هذه الكتب، ولذلك ظل مدة غير معترف به فهو لا يلقى ما تلقاه الكتب الثلاثة السابقة من التقديس .

يبدو أن هذا النظام قد وضع من جانب البراهمة لتوزيع العمال على الناس فى المجتمع .

البراهمة (برهمن) أى الكهان من رجال الدين البرهمى ومن واجباتهم الإشراف على الشؤون المذهبية وخدمة المعابد، وهم أعلى الناس درجة .

الأكشترية (جهترى) أى الطبقة الحاكمة والمحاربة، وهم الذين يشرفون على الشؤون الإدارية والعسكرية ومسؤولون عن الأمن فى البلاد .

الفيشية (ويش) أى طبقة التجار بصفة خاصة وتنضم إليها طبقة الزراع والصناع وأصحاب الأعمال الاقتصادية ومن واجبتهم توفير وسائل العيش للبراهمة والأكشترية .

الشودرية (جودر) وهم السكان الأصليون فى البلاد ولا يتمون إلى الآرين بصلة الدم، وهم أسفل الطبقات فى نظر البراهمة وأحقر الناس وعملهم خمة الطبقات الثلاثة الكبيرة فى أحس حاجاتهم من أعمال النظافة، وهم يسمون أيضا الطبقة المنبوذة .

وتنص شرائع منو على امتيازات للبراهمة لا يرقى إليها الملك نفسه الذى كان عليه ألا يقطع أمرا دون الرجوع فيه، فهذه الشرائع التى رسمت لكل طائفة من الطوائف حدودا لا تتعدها قد أطلقت فى الوقت نفسه أيدي البراهمة من كل قيد وجعلت لهم زعامة الناس جميعا، فالبرهمى لا يندس ولو قتل أهل الكون جميعهم، فهم وما يملكون على يمينه وأمره نافذ مطلق .

وقد أباح منو لأبناء الطبقات الثلاث الكبيرة حق المصاهرة فيما بينهم على قدر، بحيث يستطيع الرجل أن يتزوج من طائفته أو من طائفة أدنى منها وليس أعلى منها، وزاما طبقة الشودرية الرابعة (طبقة المنبوذين) فقد حرم عليهم مخالطتهم بأفراد الطبقات الأخرى ولا يجوز لهم الزواج إلا من طبقتهم الحقيرة فقط، ومن يتزوج بواحدة من الشودرية يصبح مفضوحا مذموما ويطرده من طائفته لينزل إلى طائفة المنبوذين العبيد ويصيبه خزي الدنيا، ولكن يمكن للبرهمى أن يتزوج امرأة أكشترية من الطبقة الحاكمة أو حتى من الطبقة العالية أن تتزوج من طبقة أقل منها، لأنها حينئذ تلد أولادا يرثون صفات أيهم التى هى اقل من صفات طبقة أمهم وكم من شودرى نفى من الأرض لمحاولته التطلع إلى من هم أعلى منه طبقة، وكم من مرة جرع الجحيم من الزيت الحار أو قطعت يداه لمجرد معرضته لرأى البراهمة فقط كان السبب فى وضع نظام الطبقات الجائرة هو أن البراهمة خافوا من أن يختلط بنو قومهم الآريين بعناصر الهند والسند وأهمها القوم الدراوردى الذى سعى بالشودرية المنبذين بواسطة البراهمة الآريين الذين استولوا على السلطة فى البلاد ويخشون من الشودرية فى الفقر والجهل حقوقهم فى أراضيهم الأصلية، فبقاء هؤلاء اشودرية فى الفقر والجهل والحرمان يضمن للبراهمية دوام الاستمرار فى الحكم والجاه فى البلاد.

ويعيش البراهمة معززين مكرمين على ما تقدم لهم من القرابين والهدايا والأموال، وإن كان قد أذن لهم أيضا فى حالة القيام ببعض الوظائف والعمال التجارية، وقد وردت فى شريعة منو نصوص كثيرة تشير إلى مكانة كل طبقة فى المجتمع:

وعلى هذا الأساس الذى وضعته الكتب المذهبية قامت الحياة الاجتماعية للبراهمة الهندوس وظلت كذلك عبر القرون تزداد كل يوم شدة وتمكينا وتزداد كل طبقة تمسكا بموقعها من غيرها حتى رأيت طبقة الشودرية المنبوذين وكأنهم أشد إيمانا بذلتهم من غيرهم فهم لا يسكنون مع بقية الأهالى داخل المدن بل يتخذون

لهم مساكن حقيرة قذرة فى أطراف المدن فى غاية الذلة فهم لا يحاولون أن يرتفعوا عن وضعهم هذا والجهل بينهم متمكن .

ولذلك كله قد ضاق الناس ذرعا باستمرار السلطة للبراهمة واشتداد وطأنهم عليهم ، حتى بدت لهم تباشر الخلاص على أيدي مصلحين قد ظهرأ من بين الأكشترية الحاكمة فى القرن السادس قبل الميلاد وهما (مهابير) صاحب الديانة الجيبة وصاحب الديانة البودية ولقد كانت حياة هذين المصلحين غامضة على كثير من الباحثين أرادوا أن يتبوا عنها وعن مبادئها فلم يجدوا ما يعتمدون عليه فى الغالب إلا الأساطير .

العقيدة الجينية:

كان الدين الجينى أحد العقائد المنتشرة فى بلاد الهند والسند قديما ولا يزال له أتباع قليلون مثل أتباع البودية فى تلك البلاد ، والجينيون يعتبرون دينهم دينا مستقلا بذاته كالبودية ولا يعترفون بالبرهمية ، ولكن بعض المؤرخين يعتبرون الجينية مشقة من البراهيمة الهندوسية ، بينما يعالى الجينيون فى ادعائهم بأن ديانتهم أقدم الديانات كلها فى شبه القارة الهندية ، على أن المؤرخين لا يعرفون حقيقة الجينية إلا منذ القرن السادس قبل الميلاد ، ويعرفون مؤسسها أو منظمتها الأخير باسم "مهاديرا" الذى يؤرخون ميلاده لسنة ٥٩٩ قبل الميلاد أى قبل اثنتين وأربعين سنة من ولادة بودا صاحب الديانة فى سنة ٥٥٧ قبل الميلاد ، وعلى ذلك يعتبر الذين الجينى أقدم فى الظهور من الدين البوذى ، وإن كان كلا المؤسسى لهذين المذهبين قد تعاصرا فى الحياة ثلاثين سنة ، ولكنهما لم يتقابلا مع أنهما كانا يعيشان فى منطقة واحدة تعرف باسم "بيهار" بلاد الهند فى الوقت الحاضر ، وقد مات مهابير قبل بودا بحوالى خمسين سنة .

والجينية من ناحية أخرى تعنى عقيدة قهر النفس ، وفيها ينظر مهاديرا (مهابير) أى البلى العظيم إلى الحياة بأنها لعنة وعلى المرء أن يتخلص منها بنعمة الانتحار البطئ جوعا ليبلغ سر الوجود ، ويدرك الحقيقة والمعرفة عند الدنيا المتعلقين

بأهداب الحياة فيها ولا تتجاوز النسب فى الزمان والمكان فيهل، فما عند فريق منهم حق محسوب هو عند غيرهم باطل معلوم فى الغالب وطريق الخلاص عند الجينيين يقتضى الامتناع عن إيذاء أى كائن حى حتى امتنعوا عن ممارسة أى عمل من العمال وغطوا أفواههم بأيدهم لكى لا تتسرب إليها كائنات من الهاء فتقتل، ولذلك كنسوا الأرض برفق زائد أمامهم ومن تحتهم خوف من القضاء على ما يسرح فيها من هوام، حين يمشون وحين يجلسون أو يرقدون ويفعلون ذلك كله إلى أن يتم لهم أعظم انتصار تظفر به الروح على إرادة الحياة وهو انتحار البطئ جوعا وحرمانا ومشقة.

والجينية تخالف أيضا الديانة البرهمية فى أنها لا تعترف بمسألة تعدد الولاة التى يقول بها البراهمة نتيجة لفكرة التناسخ التى تقول بأن الإنسان لا يزال يموت ويولد.

حتى تظهر نفسه تماما فتصل إلى الخلود والنعيم، وتقول الجينية بأن الإنسان يستطيع أن يتحرر من دورة الولاة هذه بتعطيل حياته وذلك بالتخلى عن كل عمل وكل ما يغذى جسمه حتى تنتهى حياته، وكأنها ترغب بذلك فى الانتحار حتى سميت بالانتحارية.

من مبادئ الجينية:

أهم شىء فى الجينية هو الدعوة إلى تجرد الإنسان من شرور الحياة وشهواتها حتى تدخل النفس فى حالة من الجمود لا تشعر فيها بأى شىء مما حولها، والناسك الحق هو الذى يقهر جميع مشاعره وعواطفه، وحواءه فلا يحتاج إلى شىء حتى اللباس، لأنه لا يشعر بحر ولا برد ولا حياء، ويهتم الكهان الجينيون بتنف أشعارهم كلها كدليل على أنهم لا يهتمون بالجسد المادى لأن الذى يشعر بالحياء يشعر بالتالى إلى ستر عورته، وإن فى الحياة خيرا وشرا وحسنا وقبيحا، ومعناه أنه لا يزال متعلقا بها خاضعا لمقاييسها، ويقول الجينيون: إن آدم وحواء كانا يعيشان فى الجنة بطهر كامل لا يشعرا بحياء ولا خير ولا شر ولا يحملان هما أو

غما حتى تسلط عليهما الشيطان ليحرمهما من هذه اللذة، فحملهم على أن يأكلا من شجرة العلم بالخير والشر، فأخرجنا من الجنة، وبهذه الطريقة يعيش كهانهم عراة لا يسترهم شيء مطلقا لأن هذا هو المثل الأعلى عندهم، أى أن الناسك تجرد من كل أحساس بالدنيا وآراء الناس فيها، فأصبح لا يهتم فيها بخير أو شر أو حسن أو قبيح ويفلسفون فى هذا المعنى ويقولون إن الشعور بالحياء يتضمن تصور الإثم، فلو لم يكن الإثم فى الحياة لما كان الحياء، فترك اللباس هو ترك للإثم وبصوره، وعلى ذلك يجب على كل ناسك يريد أن يحيا حياة بريئة من الإثم أن يعيش عاريا ويتخذ من الهواء والسماء لباسا له .

الديانة البوذية (البدهية أو السمينية):

البوذية إحدى الديانات القديمة المعروفة التى ظهرت فى بلاد الهند وبلاد السند قبل أكثر من خمسمائة سنة قبل الميلاد، وبقيت مئات السنين ثم انتقلت إلى البلاد المجاورة كسيلان وبورما وسيام والصين واليابان حتى أصبحت هذه البلاد الآن هى الموطن الحقيقى لازدهار البوذية بعد أن اضمحل شأنها من منبعه الأصيلى بلاد الهند نفسها، وبقدر معتنقوها فى هذه البلاد بحوالى خمسمائة مليون نسمة .

حياة بوذا ونشأته:

ولد بوذا مؤسس الديانة البوذية فى سنة ٥٥٧ قبل الميلاد، وبوذا هذا لقب له ومعناه "العارف المستنير" أما اسمه فهو "كوتاما" أو "سدھارتا" وكانت ولادته فى أسرة حاكمة غنية من الطبقة الأكشترية، فنشأ على طبع أسرته مترفا منعما، ولكن لفت نظره ما كان يراه من مظاهر البؤس والشقاء والمرض والتفاوت الاجتماعى بين الطبقات، فأخذ يفكر فى هذه المظاهر وفى الحياة ولذاتها وانقطاعها بع حين، فأفزعته هذه الحقيقة فترك حياة القصور والنعيم، وانقطع يفكر ويبحث عن مخرج من هذه الآلام، وكان يلزم شجرة يجلس تحتها يفكر، وقد صارت هذه الشجرة بعد ذلك ذات مكانة مقدسة ما زال البوذيون ينظرون إليها نظرة تقديس، وهى الآن فى منطقة كايا بولاية بيهار ببلاد الهند .

وعاش بوذا حياة مرة قاسمة فى الغابات والصحارى فترة من الزمن يعانى آلام البؤس والفقر والجوع ويمارس أنواع الرياضات الجسمية والروحية حتى استطاع أن يصل إلى حالة من التجرد من الماديات، ويعلو بنفسه عن الشهوات، حتى أدرك أن الشهوة هى أم الشرور فى الحياة، وأنه لابد من القضاء عليها، حتى يحس الإنسان بالسعادة والراحة، وأخذ يدعو الناس إلى هذا التحرر نحو أربعين سنة مرتحلاً من مكان إلى مكان، يبشر بالمحبة بين الناس، ويدعو إلى الزهد المخلوقات كلها نظرة فيها رحمة وحنان بعيدا عن التعالى والغرور، وعمل بوذا نفسه بما يدعو إليه من مبادئ، فكان يقاسم الناس آلامهم، ويدعوهم إلى مبادئه الرحيمة، مبادئ الحب والعطف والتسامح.

ويذهب البعض إلى أن هناك تشابها بين ما نسج حول بوذا وحياته وبين ما قاله أتباع عيسى عليه السلام عنه.

تعاليم البوذية:

لم تبحث البوذية فى أمر الإله كما هو الشأن فى البرهمية، وقالوا أن القصد الأول لبوذا كان تطهير النفس من شهواتها وتحليلها بالأخلاق فى معاملاتهما مع الناس، وتنظيم الأمور الاجتماعية والقضاء على نظام الطبقات، ولذلك تدور تعاليم بوذا كلها حول هذا الأساس الحلقى والاجتماعى: لا تقتل، لا تسرق مالا، لا تشرب خمرا، لا ترقص، لا تكذب، لا تزن، لا تكن مترفا، لا تتكبر، لا تكن ظالما. . إلخ وكان أهم شئ اهتم به بوذا نفسه هو العمل على إلغاء نظام الطبقات الذى أوجدته الديانة البرهمية القديمة لمصلحة البراهمة، وأن البوذية الأصلية لم تحتفل بالطقوس البرهمية الرسمية كئالغسل فى الأنهار المقدسة، والمداومة على الصيام والاشتغال بالعبادات المتعبة والجولان عراة حفاة، وتقليد الرهبان فى حلق الرؤوس أو تلييد الشعر وتتريب الجسد وعرض النذور والقرايين، فكل ذلك ليس له حظ فى النجاة عند البوذية.

وتنكر البوذية وجود خالق للعالم وأن الموجودات كلها ليست إلا وهما وظواهر باطلة فانية، وأن الحديث عن الكون وهل هو متناه أو لا متناهى والروح وامتزاج النفس والبدن أو انفصالهما ما هو إلا أسطورة وخرافة من خرافات الأساطير، وكذلك أنكر بوذا القضاء والقدر وقال بأن مصير كل حي منوط بسلوكه الذى قد يقوده إلى السعادة أو إلى الشقاء، فلا آخره ولا جنة بنعيم ولا سقر بحميم، كما أنكروا فكرة التناسخ والحلول وغيرها، وقد سخر بوذا من البراهمة سخرية شديدة فهدم كيانهن حين أعلن بأن الطقوس وشعائر العبادة وما وراء الطبيعة والهوت مسائل لا تستحق النظر، وأن القرابين والدعية ما هى إلا من صناعة الكنهوت، كما هاجم نظام الطبقات ضمنا حين صرح بأن الناس أشرفهم أدنياءهم كلهم سواء فهو يشير بذلك إلى أنه ليس من العدل أن تتمتع البراهمة بكل شىء وأن يحرم الشودرية من كل شىء، وإلى أنه ليس من الحكمة أن لا يكون للاكشترية الحاكمة إلا سلطة ظاهرية جوفاء وأن لا يكون للغيشية الأعيان والتجار حق الخروج من دائرة طبقتهن الثالثة مهما بلغوا من الكمال والعلم أو الجاه والثروة.

انتشار البوذية وزوالها ببلاد الهند والسند:

ظهر بوذا فى الوقت الذى كان الناس يعيشون تحت ظلم الديانة البرهمية التى قسمت الناس إلى طبقات غير عادلة فى بلاد الهند والسند، وكانوا ظامئين إلى مذهب جديد ليخلصهم من الأفكار السيئة والطقوس الصعبة، ومن تعالى وغطرسه البراهمة، ومن الذل والعبودية، ولما ظهر بوذا بالمبادئ الأخلاقية الاجتماعية التف الناس حول ودخلوا فى مذهبه وأيدوه ونصروه، وظل بوذا يدعو إلى مبادئه مدة حتى توفى سنة ٤٨٠ قبل الميلاد، ولم تكن البوذية قد أخذت شكلا رسميا حتى لفتت هذه المبادئ نظر الإمبراطور أشوكا إمبراطور الهند الشمالية فى القرن الثالث قبل الميلاد، بعد أن خاض حروبا قاسية حتى مال إلى حياة الرحمة والحب والسلام، فاعتنق دعوة بوذا ودعا إليها فى حماس وأرسل رسله إلى الممالك

المختلفة يدعون إليها وبذلك صار الإمبراطور داعيا علميا للبوذية حتى انتشرت واكتسحت في طريقها الديانة البرهمية القديمة.

على أن الذين دخلوا الديانة البوذية من أهل الهند والسند ظلوا معترفين بآلهتهم التي كانوا يعبدونها في البرهمية القديمة، ومن هنا بدأت البوذية تختلط في مظاهرها بالبرهمية وبدأ البوذيون الذين يقوم مذهبهم على عدم الاعتراف بالإله يعترفون بالإله، وبالتالي اندمج فريق من البوذية في طقوس البراهمة حتى ظهرت البوذية بمظهر البرهمية وبدأت معابدهم تظهر فيها البراهمة، ومن ثم أخذت البوذية تتلاشى شيئا فشيئا، وأصبح بوذا بعد حين إلها يعبد البوذيون، وبهذا مهد السبيل إلى انحسار موجة البوذية من بلاد الهند والقضاء عليها في القرن السادس الميلادي بعد مرور ألف سنة من ولادة بوذا ورجعت البرهمية إلى مكانتها القوية وصارت دينا رسميا في بلاد الهند وكذلك في القرن السابع الميلادي في بلاد السند.

ومما أدى إلى زوال البوذية أيضا في بلاد الهند والسند أنه في الوقت الذي لم يأبه البراهمة بأمر الديانة الجينية التي لم تكن خطرا بالنسبة لهم لمبالغتها في التقشف والزهد، انصرفوا بقوة طاغية إلى العمل على تقويض صرح البوذية المتسامحة التي غدت تناوى سلطانهم حتى أحدثت تغيرات غير قليلة في النظم الاجتماعية والسياسة، وصار لها أتباع كثيرون، وبمرور السنين استطاع البراهمة أن يقضوا على البوذية بقوة وسياسة مذهبية جديدة، ذلك أن رؤساء البراهمة عمدوا إلى إدخال قدر غير يسير من تطور وتسامح في شعائرهم بغية إعادة مجدهم وسلطتهم الدينية، في الوقت الذي انحرف سنده البوذية عن مبادئها الأولى البسيطة إلى مستحدثات معقدة أقحموها على عقيدتهم السهلة، وراحوا ينشدون لأنفسهم وبذلك وسعوا الشقة فيما بينهم وبين أتباعهم الذين ما لبثوا أن جذبهم تسامح البراهمة الطارئ وتديبرهم المحكم حين أدخلوا لبوذا نفسه مكانا بين آلهتهم البرهمية وكذلك لمهاديرا نبي الجينية أو إلها وأعلنوا لهما قدسيتهما، وكانوا قد أنكروا ذلك من قبل.

وهكذا ظهرت برهمية جديدة لا تختلف عن البرهمية القديمة فى كثير وقد ساعدت على استرداد أصحابها تحت سيطرة البراهمة بفضل سياستهم المذهبية الجديدة من جهة وبفضل ما وجدوه عند الأمراء الراجبوتيين الأقوياء الذين ظهروا فى القرن السادس الميلادى، من مناصرة وتشجيع مما يسر لهم ذلك فى نشر مدارسهم فى كل مكان، حتى انتشرت عقيدتهم وهى البرهمية الجديدة فى القارة الهندية كلها لا يضرها وجود تلك الجينية الضئيلة ولا البوذية الضعيفة.

موقف أصحاب الديانات القديمة ببلاد السند والبنجاب من العرب؛

كانت بلاد السند تحكمها قبل الإسلام زهاء قرن أسرة مالكة تعرف فى التاريخ بأسرة سيهاسى وكانت هذه الأسرة بوذية المذهب، ثم فى أول سنة من القرن الأول الهجرى أى فى مصدر الإسلام انتقل حكم البلاد إلى رجل يسمى جج وكان برهمى المذهب وحافظا للكتب البرهمية المقدسة لأنه كان من أسرة دينية برهمية، فقد كان والده سادن معبد الور بينما كان شقيقة جندر الزاهد بوذيا وباستيلاء جج على الحكم صارت الديانة البرهمية هى الدين الرسمى للدولة وسيطرت على الدين المنتشر فى البلاد رغم كون الأغلبية فيها من البوذيين.

وبذلك استطاع البراهمة أن يسيطروا على جميع مناطق بلاد الهند، بل حتى على المنطقة المعزولة عنها جغرافيا وهى بلاد السند، بينما كاد لا يوجد لأتباع الجينية من وجود فى بلاد السند فى صدر الإسلام وبعد ذلك، حيث أننا لا نجد لنشاطهم أثرا واضحا فى التاريخ، لأن هؤلاء كانوا مسلمين هادئين ورهادا مغالين فى زهدهم بصفة عامة، ولذلك كان البراهمة يتجاهلوهم لقلة خطرهم على الديانة البرهمية، فى الوقت الذى شنوا حملاتهم العنيفة فى القضاء على البوذيين بشتى الطرق الوحشية من القتل الجماعى والإحراق العام وأنواع التعذيب، إذن كانت الديانة البرهمية هى دين أغلبية الشعب قبيل الفتح العربى لبلاد السند.

وموقف أصحاب الديانات القديمة ببلاد السند مع العرب أيام الفتح العربى يختلف من ديانة إلى ديانة حسب ظروفها السياسية والمذهبية فى البلاد،

فالصراع المذهبي الذي كان قائما فى تلك البلاد قبيل الفتح العربى لها بين أصحاب المذهب البرهمى الطغاة وأصحاب المذهب البوذى المتظلمين، يعتبر أهم عنصر لتلك الحياة المذهبية القاسية، وفى بداية القرن الأول الهجرى حين قام (هواين تسانغ) الرحالة الصينى المعروف بجولته فى شبه القارة الهندية ذكر فى مذكراته أن البوذيين كانوا منتشرين فى ذلك الوقت بكثرة فى وادى نهر السند وفى الوديان الواقعة فى المناطق الجبلية ببلاد السند والمجاورة للحدود الهندية وذلك بعد أن سكنوا هذه الأماكن هاريين من ظلم البراهمة فى بلاد الهند وقد ورد فى مواضع كثيرة من كتاب ججنامه ذكر هؤلاء البوذيين ومعابدهم وحكامهم والمناطق التى كانوا يسكنونها فى بلاد السند أيام الفتوحات الإسلامية، فبدل ذلك على أيضا على وجود الجماعات الكثيرة منهم فى بلاد السند وسيطرتهم على مناطق مختلفة مهمة وعلى وجود الزعماء والحكماء الكبار الأقوياء بينهم، وخاصة فى مدينة النيرون ومنطقة البوديهية وإقليم سيوستان ومنطقة بت وغيرها كما كان زعماء البوذية يسيطرون على قلاع كبيرة وحصون عظيمة وإن كانوا من كبار الراهبان السمنيين البوذيين، وكانت لهم قطاعات واسعة منيعة وكان لهم حراس مستقلون محاربون أقوياء، فقد جاء فى ججنامه أن الملك جج أراد القضاء على كاهن بوذى معروف بصاحب القلعة الذى اشتهر بعدواته ومخالفته للبراهمة وحكامهم، فوجه الملك جج بنفسه إلى تلك القلعة ليقضى على ذلك الكاهن، ولكنه سرعان ما انخذل أمامه وفقد قوته وجبروته حين واجهه وجهها لوجه، فقد استولت عليه هيئة ذلك الرهب البوذى فخرج من عنده منهزما نفسيا ومعنويا وسياسيا، بل وعده بتقديم المساعدات اللازمة للمعبد البوذى هناك كما كان كثير من البوذية من التجار والصناع والعلماء يعيشون فى المناطق التى كان معظم حكامها وسكانها من البرهميين مثل مدينة التى كان معظم حكامها وسكانها من البرهميين مثل مدينة الديبل وكان بها أيضا للبوذيين معبد معروف، ومدينة الور العاصمة السابقة لبلاد السند وكان بها معبد عظيم لهم، ونواحى إقليم سيوستان التى كان بها معابد كثيرة للبوذيين بجانب المعابد البرهمية.

كذلك يفهم من بيانات ججنامه أن البوذيين لم يكونوا يسعون لحماية السرة الحاكمة من البراهمة أيام الفتح العربى، ذلك أنهم لم ينسوا تلك المظالم الوحشية التى لاقوها من هؤلاء البراهمة فى شبه القارة الهندية لمئات السنين حتى اضطروا فى النهاية للانتقال إلى شمال الهند ولا سيما إلى بلاد السند واستوطنوها واستطاعوا أن يتنفسوا قليلا الحرية المذهبية، ولكنهم لم يتخلصوا تماما من الاضطهاد المذهبى والاجتماعى ولا من عداوة البراهمة لهم من النواحي الأخرى، فتلك العوامل المذهبية والسياسية والنفسية والاجتماعية كلها، شجعت البوذيين على الترحيب بالعرب الفاتحين أصحاب الدين الإسلامى، دين العدل والمساواة والرحمة، فتعاون البوذيون معنوياً ومادياً مع العرب للقضاء على جبرت حكام البراهمية وظلمهم الذى ملأ البلاد، وقد عد بعض المؤرخين مساندة البوذيين للعرب من أهم السباب التى أدت إلى زوال الدولة البرهمية بسهولة فى بلاد السند.

وعلى العموم فإن العموم فإن البوذيين فى كل بقعة من بلاد السند كانوا يسالمون العرب ولا يرغبون فى القتال ضدهم بل كانوا يرحبون بهم ويعاونوهم فى الخطط العسكرية لإتمام مهمة الفتح العربى حتى تزول الدولة البرهمية ويتخلص البوذيون من ظلمهم، لم يكتف البوذيون على مساعدة العرب بل نجد أن كثيرا من الجماعات البوذية قد دخلت الإسلام أفواجا أيام الفتوحات وبعدها باستمرار حتى يكاد لا يسمع عن وجود البوذيين بعد ذلك فى بلاد السند، وهذا يؤيد ما نذهب إليه من أن أغلبية البوذيين قد دخلوا الإسلام فى عهد العرب.

وأما موقف أتباع البراهمة فكان بصفة عامة ضد العرب مذهبيا وسياسيا فهم لم يرغبوا جماعية فى الدخول فى الإسلام كالبوذية إلا فى حالات قليلة، ولكن بعض البرهمنين من الزعماء والقواد وزعماء القبائل ببلاد السند دخلوا فى طاعة العرب أيام الفتوحات حين وجدوا كفة الميزان فى صالح العرب وسالموهم وعملوا تحت رايتهم حتى تم الفتح ودخل البقية فى طاعة العرب أيضا مرغمين وقبلوا حكمهم.

ونذكر هنا بعض الأمثلة للحكام البوذيين وكذلك للبرهمنين الذين انضموا برغبتهم وبدون قتال إلى الفاتح محمد بن القاسم الثقفى أيام الفتوحات، وكانوا خير معين له سياسيا وعسكريا، فمن الحكماء البوذيين مثل بهندركن حاكم مدينة النيرون والأمير كاكه بن بسايه حاكم منطقة البوديهية ومعظم قوداه والأمير موكه بسايه حاكم منطقة بت والأمير راسل الحاكم الثانى لمنطقة بت وكان من كبار قواد الملك داهر حتى قبيل المعركة المصيرية بين محمد ابن القاسم والملك داهر، وكذلك الأمير ككسه بن جندر حاكم منطقة باتيه وكان فى الغالب بوذيا لأنه كان ابن الملك جندر البوذى وأما من كبار الشخصيات السياسية والعسكرية للبرهمنين الذين لجأوا إلى محمد بن القاسم ودخلوا تحت لوائه مثل قبلة بن مهترائج المشرف على سجن الديبل، وسياكر وزير الملك داهر وبالإضافة إلى عشرات من القواد الذين استسلموا أثناء القتال وبعد فتح المدن والقلاع فى راور والور وبرهمناباد والمالتان وغيرها، ومن الجماعات البوذية التى قبلت الطاعة للعرب بدون قتال مثل قوم جنه المقيمين فى ناحية من إقليم سيوستان وكذلك جماعات من القواد والجنود البرهمنين الذين انضموا إلى العرب أثناء القتال بين محمد بن القاسم والملك داهر وأيضا قدمت الطاعة قائل سنديّة مختلفة مثل زط اللوهانة، وقبيلة السمة وقبيلة السهته ومعظم هؤلاء الأفراد وتلك القبائل قد دخلوا الإسلام أيام الفتوحات وبعدها فى عهد العرب ببلاد السند والبنجاب.

علاقات بلاد السند والبنجاب مع الدول المجاورة قبل الفتح الإسلامى

علاقات بلاد السند والبنجاب مع بلاد إيران قديمة

نجد أن العلاقات بين بلاد السند وبلاد إيران، كانت علاقات مختلفة منذ عصور قديمة جدا، وكانت مستقرة بحكم الجوار، وكان من الطبيعى أيضا أن تقع حروب بينهما فى بعض فترات من التاريخ، فقبل الإسلام كانت الجيوش السندية تصل أحيانا إلى داخل بلاد السند إلى أن فتح العرب هذه البلاد، وبذلك انتهت السيطرة العسكرية والسياسية المتقطعة للفرس على بعض أجزاء بلاد السند.

(أ) علاقة بلاد السند ببلاد إيران قبل الميلاد:

لقد عثر بين الآثار القديمة على خطابات ملوك الدولة الإكمينية الإيرانية (٥٥٠ - ٣٢٣ ق. م) فى القرن السادس قبل الميلاد، وذلك فى الجزء الشمالى الغربى من بلاد السند، مما يدل على وجود العلاقات بين بلاد إيران وبلاد السند فى ذلك العهد القديم جدا، ومن الناحية السياسية دلت الآثار الحجرية القديمة على أن الملك دارا الأول (٥٢٥ - ٤٨٦ ق. م) الذى حكم إيران حكما قويا قد فتح وادى السند ابتداء من منطقة بنجاب إلى بعض الأجزاء المحيطة لنهر السند فى ذلك العهد، - وتعتبر حملة دارا الأول سنة ٥١٨ قبل الميلاد أول حملة إيرانية على بلاد السند.

وبعد دارا الأول جاء الملك زيراس الذى حكم إيران فترة قصيرة (٤٦٤ - ٤٦١ ق. م) وكانت جيوشه تشتمل على الهنود والسند أيضا. ثم ابتداء من عهد الملك دكار إلى عهد الملك دارا الثالث كانت بلاد السند تحت سيطرة الحكم الإيرانى

حتى استولى الإسكندر الأ: بر المقدونى على منطقة بنجاب التابعة لبلاد السند فى سنة ٣٢٣ قبل الميلاد. فزالت بذلك السيطرة الإيرانية من بلاد السند البنجاب لفترة من الزمن.

ويتبين لنا من النقوش التاريخية التى وجدت فى إقليم برهمن آباد (آباد) ببلاد السند على وجود علاقات سياسية بين الدولة الإيرانية الكمينية وبالدولة السندسة فى تلك العصور القديمة.

ومن الناحية الثقافية، فإن الآثار القديمة التى وجدت فى منطقة موهنجود، وتدل أيضا على وجود العلاقات الفكرية بين أهل السند وأهل إيران قبل التاريخ، وكانت هذه العلاقات الثقافية مستمرة بين الدولتين إلى القرن الثالث قبل الميلاد.

ومن الناحية التجارية أيضا تدل تلك الآبار القديمة التى عثر عليها ببلاد السند على وجود العلاقات التجارية بين بلاد إيران وبلاد السند والبلاد المجاورة منذ آلاف السنين، فمن بين ما عثر عليه بعض الأختام التى كانت تستخدم للختم على الأوراق الرسمية المرسلة إلى الخارج، والطرود الكبيرة، ولعلها كانت طرود القطن، ومنها البضائع التى كانت تتبادل كالأحجار الكريمة والتماثيل الحجرية والكؤوس والطوب الأحمر، وكان يستورد حجر الفيروز من إيران، وربما كانت الخشاب أيضا تصدر إلى إيران.

(ب) علاقة بلاد السند بإيران فى العهد الساسانى:

أسس أردشير الأول الدولة الساسانية فى إيران التى دامت نحو أربعة قرون من الزمان (٢٢٦م - ٦٥٢م) واتسعت سيطرتها بعد فترة قصيرة حتى اشتملت على غرب الهند ووسطها والجزء الشمالى الغربى منها، وأرسل ملوك طوران ومكران بالبيعة إلى أردشير الأول، وكان إقليم طوران وإقليم مكران يدخلان فى نطاق الدولة السندية فى ذلك العهد.

وتشير بعض الروايات إلى أن بلاد السند كانت مفصلة عن بلاد الهند فى عهد الدولة الهيلينية الهندية فى القرن الرابع الميلادى.

(ج) علاقات بلاد السند ببلاد إيران فى عهد انوشيروان:

عادت العلاقات السياسية بين بلاد السند وبلاد إيران فى عهد انوشيروان الملك الساسانى بعد انقطاعها فترة من الزمن، فامتدت السيطرة الإيرانية حتى نهر السند وقد صالح كثير من ملوك أقاليم السند والهند انوشيروان وأرسلوا إليه بهداياهم الثمينة معبرين بذلك عن تقديرهم له، وكان ذلك خوفا من كثرة جيوشه وسعة ملكه وغلبته على البلاد الأخرى وقتله لكثير من حكامها الذى رفضوا البيعة له.

ومن الناحية الثقافية فإن العلاقات كانت طيبة بين الطرفين، فقد طلب الحكيم برزويه الإيراني من الهند كتاب كليله ودمنة وموضوعه فى إصلاح الأخلاق وتهذيب النفس، وترجمة من السنسكريتية إلى الفارسية وقدمه إلى كسرى انوشيروان، وكذلك نقلت لعبة الشطرنج؟ إلى إيران فى عهد انوشيروان.

وهكذا كانت العلاقات السياسية والثقافية وكذلك التجارية قائمة بين بلاد السند وبلاد إيران فى العهد الساسانى، حتى عهد يزدجرد الثالث آخر ملوك الساسانيين الذى قضى العرب عليه فى سنة ٣١هـ / ٦٥١م، هجرية أى فى القرن السابع للميلاد، وبذلك زالت الدولة الساسانية الكبيرة عن الوجود ودخلت بلاد إيران تحت حكم العرب.

(د) علاقة بلاد السند ببلاد إيران قبيل عهد العرب:

فى بداية القرن السابع الميلادى، وبعد ظهور الإسلام قام الحاكم الإيراني هرمز بعدد من الحملات البحرية على سواحل بلاد السند، حتى وقع فى أسره عدد كبير من أهالى السند وأخذهم معه إلى إيران وكان معظمهم من وقوع الزط لأن أغلبية أفراد الجيوش السندية كانت منهم، ولما أراد العرب الحملة على إيران عقدت الدولة الساسانية معاهدة الصلح مع بلاد السند وبموجبها جامل الملك هرمز قوم الزط بإيران وأدخلهم فى الجيش الإيراني لمحاربة العرب بهم، ثم فى عهد أبى بكر

رضى الله عنه وقعت حرب ذات السلاسل بين إيران والعرب فى سنة ١٢هـ (٦٣٤م) وقتل خالد بن الوليد هرمزا، ووقع آلاف الأسرى من الزط فى أيدي نعرف وفتنوا الإسلام عنهم وسكنوا العراق، ثم سنة ١٤ هجرية (٦٣٦م) فطلب الملك يزجرد الثالث مساعدة عسكرية من حلفائه ولا سيما ملك بلاد السند الذى أرسل إليه الأسلحة والفيلة وأهدى له فيله البيض المقاتل الذى كان بمثابة قائد لتلك الفيلة المحاربة، وقد قتل فى الميدان فى اليوم الثالث من السهل للعرب إبعاد بقية الفيلة وقتل المعركة، وبعد ذلك أصبح من رستم القائد الإيرانى المشهور، والقضاء على جيش إيران فى هذه الحرب وفى القرن السابع الميلادى فى عهد الدولة الهرشية الهندية أيضا كانت بلاد السند تابعة للحكم الإيرانى سياسيا ثم ضعفت إيران بسبب حملات العرب المتكررة عليها، فانتهاز الملك جج ملك بلاد السند هذه الفرصة واسترجع منطقة مكران التى كانت تحت سيطرة إيران وبعد وفاة جج جاء ابنه الملك داهر، ووحد البلاد كلها وظل سنوات طويلة، حتى حصل الفتح العربى الكبير بقيادة محمد بن القاسم الثقفى فى سنة ٩٢هجرية / ٧١٠، وبذلك انتهت سيطرة إيران على بلاد السند بصفة نهائية.

ومن الناحية التجارية فقد أشار بعض الجغرافيين العرب ومؤرخيهم إلى أن العلاقات التجارية بين بلاد السند وبلاد إيران كانت مستمرة فى عهد العرب، فيذكر المسعودى بأن العوامل التجارية كانت متصلة بين خراسان وبين الملتان بإقليم البنجاب والمنصورة بإقليم السند من خراسان ويذكر الأصبخري بأن الببل السندية كانت تصدر إلى خراسان وفارس وغيرها.

ومن الناحية الثقافية والفكرية فقد كانت اللغة العربية مكانة كبيرة فى بلاد السند فى عهد العرب بحكم الظروف السياسية ودخول الكثيرين من أهل السند فى الإسلام، ومع ذلك كانت اللغة الفارسية رائجة فى أماكن مختلفة من بلاد السند بسبب الجوار والتبادل بين بلاد السند وبلاد إيران، وكذلك بسبب وجود كثير من الفرس فى بلاد السند حتى فى الجيش العربى منذ عهد بن القاسم الثقفى، فقد

ذكر الأصبطخرى بأن لسان أهل مكران كان الفارسية والمكرية (المكرانية) وزيه أيضا مثل زى أهل فارس والعراق ويقول المقدسى بأن الفارسية كانت مفهومة فى إقليم أيضا ونلاحظ أن الجغرافيين العرب لم يذكروا أهمية اللغة الفارسية عند ذكرهم للغة العربية ببلاد السند ذلك لأن إيران ولغتها كانت محكومين فى ذلك الوقت، إلا أن الفارسية مع ذلك كانت لها أهمية كبيرة عند أهل السند.

وهكذا كانت العلاقات بين بلاد السند والبنجاب وبلاد إيران قديمة ومستمرة فى صورها المختلفة فى كل العهود السابقة حتى عهد العرب ببلاد السند والبنجاب وبعد ذلك.
